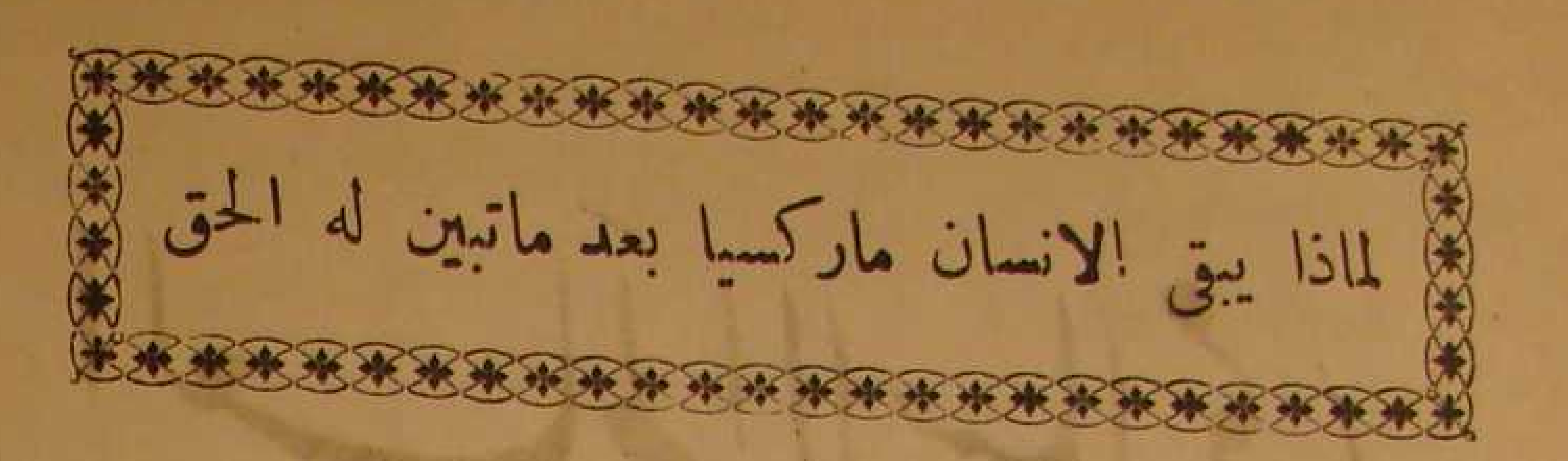


لماذا يبقى الانسان ماركسيا بعد ماتبين له الحق

« هذا رأى واحد من الشباب العربى الذين سبق أن انخدعوا بسراب التضليل ثم استبان لهم الحق ، نسوقه للذين لا يزالون يكابرون و يفترون و على ربهم يكذبون ، و ذلك هو الحوار الشيق المقنع ، بين مندوب إحدى الصحف و كاتب لحقه الأذى و أسدلت عليه الحجب ، لأنه رفض أن يصنف ضمن الكتاب اليساريين فى موطنه الأصلى فهاجر إلى لبنان هجرة يعرف كيف بدأها ، ولايدرى كيف تنتهى » .

يقول الكاتب فى سياق إجابته على أسئلة الصحفى :

إن السؤال الجدير بالبحث الآن هو : لماذا يبقى الانسان ماركسياً بعد أن فقدت الماركسية مبرراتها ؟ فقد اعتنقنا الماركسية فى الأربعينات للبحث عن حل لمشاكل مجتمعاتنا ، و كان المفروض أن تقود الأحزاب الشيوعية الثورة العربية فى المغرب العربى ضد الاستعمار الفرنسى ، وفى الشرق ضد الاستعمار البريطانى ثم ضد الصهيونية التى تركزت فيها كل متناقضات الامبريالية العالمية ، ولكن الذى حدث أن حربنا ضد إسرائيل و الحرب الوطنية ضد الاستعمار الفرنسى فى المغرب لم تقم فقط خارج نطاق الأحزاب الشيوعية بل و ضد هذه الأحزاب .

الأحزاب الشيوعية فى المغرب العربى رفضت الثورة ضد فرنسا

و الأدلة على ذلك واضحة فى تاريخ الحزب الشيوعى الفرنسى ، وفى مذكرات بن بركة عن الحزب الشيوعى المغربى ، و فى اعتقادى أن هناك سبباً ذاتياً لخيانة الشيوعية العربية و هو خضوعهم فى المغرب العربى لتوجيهات الحزب الشيوعى الفرنسى الذى كان يصوت فى الجمعية الوطنية الفرنسية على ميزانية الحرب ضد الجزائر ، و يوجه الأحزاب الشيوعية فى المغرب العربى ضد الثورة البورجوازية بزعم أن الحركة التقدمية عليها أن تنتظر الثورة البروليتارية فى فرنسا .

و فى المشرق العربى كان زعماء الأحزاب الشيوعية كلهم يهود . مثلا « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » كان يتزعمها هنرى كوريل و هو يهودى ، « و الديمقراطية الشعبية » (د . ش) كان يرأسها يوسف درويش و ريمون دويك و هما يهوديان ، « أسكرا » ، يرأسها ايللى شيورتز و هو يهودى ، و المنظمة الشيوعية المصرية – م . ش . م » ترأسها أوديت وزوجها سلمون وهما يهوديان – المحرر – وسكرتير الحزب الشيوعى العراقى عام ١٩٤٧م السيد شلومو دلال يهودى ، و سكرتير الحزب الشيوعى السورى اللبنانى قبل انتخاب خالد بكداش جاكوب تيير يهودى ، و بعد انتخاب خالد بكداش أرسلوا فرج الله الحلو لتل أبيب لتنظيم العمل و استخدموا نحمان ليفنسكى مستشاراً للحزب .

كان من البلاهة – إذن – أن نتوقع من هؤلاء اليهود أن يقودوا حربنا ضد إسرائيل . بل و كان وجودهم و كفاحهم جزءاً من المخطط الصهيونى لاقامة إسرائيل ، هذا هو السبب الذاتى لافلاس الماركسية فى الوطن العربى .

لكن هناك سبباً موضوعياً و هو إفلاس الماركسية كنظرية عالمية ، و نلاحظ أنه منذ انتصار ثورة الصين لم تقم ثورة واحدة بقيادة حزب شيوعى، بل إن الثورات الناجحة كلها ، كانت ضد الحزب الشيوعى .

و أرجو من الشباب المتحمسين الذين يصرخون باسم جيفارا أن يقرأوا مذكراته ليعرفوا أنه كان يقاتل ضد الحزب الشيوعى البوليفى .

إن الماركسية قد تحولت إلى سياسة تخدم المصالح القومية للاتحاد السوفيتى ، و من ثم أصبح على الثوريين أن يفتشوا عن الحل خارجها . . فكانت الخطوة الثانية وهى الاعتزاز بالقومية . . قوميتنا التى تتعرض لخطر الابادة الصهيونية ، فكان الالتفات إلى التراث والتاريخ والتعرف إلى الينابيع الثورية فى الاسلام . . و فى اعتقادى أن نسبة كبيرة من الذين يعتنقون الماركسية ، إنما يرجع ذلك إلى جهلهم بالاسلام .

أين موقف الشيوعيين الثورى من الاستعمار - الصهيونى لبلادنا ؟ أين كتائبهم المسلحة ؟

ما موقفهم من المشروع السوفيتى الذى يطالب بحدود آمنة وقوات دولية تضمن هذه الحدود . . أى الاعتراف ببقاء إسرائيل ، و تصفية الحركة الفدائية ؟

كنا نتوقع أن يكون الشيوعيون عند خط النار ضد إسرائيل ولو بوصفها قاعدة للامبريالية الأمريكية . . ولكن العكس هو مانراه .

الحزب الشيوعى الأردنى يرفض رسمياً الكفاح المسلح ضد إسرائيل .

الحزب الشيوعى الأردنى يرفض رسمياً الكفاح المسلح ضد إسرائيل .

الحزب الشيوعى العراقى يشن الحرب فى مؤخرة الجيش العراقى .

إن الشيوعية قد انحازت و بصفة نهائية فى العالم العربى إلى المعسكر المعادى للثورة العربية .

إنى أسألك : ماهى الثورية أن لم تكن الحرب ضد إسرائيل الآن، هل الذى يرفض الحرب ضد إسرائيل و يؤيد الرقص التوقيعى فى الجامعة تقدمى ؟ أما الشيخ الذى يستشهد فى سيناء و الجولان والضفة الغربية حتى لو كان يبقى امرأته فى الحجاب ؟

إن التقدمية هى موقف من حركة التاريخ . و فى اعتقادى أن الصراع ضد الغزو الصهيونى يجب أن يكون الآن الخط الفاصل الذى تنقسم فيه كل القوى فى الوطن العربى .

ما من قضية زيفت باتفاق مثل قضية الوجود الاسرائيلى . . فى قلب بلادنا تقوم دولة تحمل اسم نبى من التوراة . ليس لها دستور لأن الأحزاب الدينية تصر على أن التوراة هى الدستور . . يحرم فيها العمل يوم السبت و لم تر فى ذلك أى اخلال باقتصادها و ارتباطاتها بالبنوك العالمية التى تتعطل يوم الأحد ، بل يحرصون على أن تكون الجلسة الأسبوعية للكنيسة يوم الأحد — و يحرم فيها على الجيش طبخ الطعام يوم السبت . . تقول يائيل دايان فى «مذكرات جندى» (أكلنا طعامنا مطهواً يوم السبت ٣ يونيو بتصريح خاص من الحاخام الأكبر) جيش إسرائيل الذى يوشك أن يمتلك القنبلة الذرية يمتنع عن طبخ الطعام يوم السبت وبنقوريون وشازار يسيران ميلا و نصف ميل على الأقدام فى جنازة تشرشل لأنها صادفت يوم السبت ويحرم فى التوراة

ركوب وسائل النقل يوم السبت ! و عمر بنقوريون ٧٨ سنة و عمر شازار ٧٦ سنة فى وقت الجنازة . و لم تجد الصحافة العالمية و لا الرأى العام الانجليزى فى ذلك مدعاة للسخرية ، لكنها تجد فى ذلك مدعاة للاعجاب ، نصف المصلين فى مسجد الخليل من العسكريين اليهود . و نفخوا فى البوق ايذانا بانتهاء الصوم ، و جميع طائرات شركة «العال» الاسرائيلية و سفن شركة « زيم » لا تقدم لحم الخنزير . فى إسرائيل أحزاب دينية معترف بها و لها وزنها ، الزواج المدنى غير معترف به لحد أنهم رفضوا اعطاء الجنسية لحفيد بن جوريون لأنه من أم غير يهودية ، اللغة العبرية لغة رسمية ، درسوا بها الصواريخ وافساد الرادار ! و ضرب الطائرات على المدرجات ، و الفوا بها أدباً نالوا به جائزة نوبل العالمية ، فى نفس الوقت ولأجل أن تقوم إسرائيل صدروا إلينا عملاء يجعلون لب كفاحهم فصل الدين عن الدولة . . ويصابون بالفالج عندما يسمعون بأن الدستور سينص على أن دين الدولة هو الاسلام . و يسودون الصحائف فى أضرار رمضان على الانتاج ، و نحن أمة مستهلكة و الحمد لله ، و الذين ألغوا شعار الهجوم « الله أكبر » من الجيش و لم يعيدوه إلا بعد النكسة بخمسة عشر شهراً ، بينما أول دبابة إسرائيلية دخلت سيناء مكتوب عليها آية من التوراة . . ونصاب بالذين تشغلهم صعوبة اللغة العربية و يبحثون عن حروف أخرى لها أو عزلها عن مجال العلم بزعم أنها لغة متخلفة . و العبرية التى انقرضت منذ ألفى سنة أصبحت لغة العلم لأنه لا توجد لغة متخلفة و لغة متقدمة . . إنما توجد أمم متخلفة و أمم متقدمة — توجد أمم عاجزة تفقد الثقة فى كل مقوماتها .

من هنا فان الوضع الصحيح بقضية فلسطين هى أنها قضية فلسطينية عربية إسلامية و لن يقهر التعصب الباطل للتوراة إلا الايمان الحق بالقرآن ، و لن يقهر التآمر العالمى اليهودى إلا حركة بعث إسلامى تحرر فلسطين و تبدأ فى نفس الوقت من خلال وحدة الدم و من خلال وضع المبدأ الاسلامى العظيم — وهو الجهاد — موضع التطبيق . تتشكل عوامل وحدة الأمة الاسلامية و استكمال مقومات الحضارة الاسلامية .

و يقول الكاتب : أعتقد أننا يجب أن نتكلم بصراحة ، فما من أمة تواجه لحظة مصيرية مثل التى تواجهنا الآن ، إن الاعتراف باسرائيل ، و قبول التعايش السلمى معها يعنى بكل وضوح قبول السيطرة الاسرائيلية على المصير العربى ؛ و الذين يطالبون بالحل السلمى لايريدون إلا الاستمرار فى التسلط على الشعوب العربية فى ظل الحماية لاسرائيلية . و كلما طالت حكاية الحل السلمى زاد التفوق الاسرائيلى ، و واضح من سباق التسلح أن إسرائيل تتفوق دائماً مع ظهور احتمال الوصول لتسوية دولية تفرض حظراً على تصدير الأسلحة للشرق الأوسط ، و من ذلك يتضح أننا نخسر عسكرياً كلما مر الوقت لأن قوات إسرائيل تصبح أكثر دراية بالأرض المحتلة ، و تستكمل معدات أحدث من أمريكا ، وفى كل يوم يتضح أنه لا سبيل إلى النصر إلا بأن ندخل عنصراً لا تستطيع إسرائيل استيراده و هو الشعب و الأرض ، فنقاتل بكل الشعب و على كل الأرض ، و لكن سياسة الحل السلمى تهدف الى منع الشعب من خوض المعركة لأنه بصراحة توجد نظم تخشى شعوبها أكثر مما تخشى جيش إسرائيل .

« بقية المنشور على الصفحة ٨ »

تافهة زائدة عن حاجاتنا كالكماليات ، و أمور دقيقة حساسة كالتربية و الاعلام ، و هم يترقبون للفتك بنا فى أى فرصة ، و يرقصون فرحاً على هزيمتنا فى كل معركة .

إن نظام الاسلام السياسى لا يقوم على مجرد الدعوة ، و لا يقتنع بالسلبية بل إنه يبث فى أتباعه روح الكراهية والبغض نحو أئمة النفاق ، و الضلال و الكفر و الالحاد ، ودعاة الاباحية و الحيوانية ، والشذوذ و الجنون ، « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » (١) و لذلك نجد القرآن العظيم يكثر من ذكر لعن الناس على أمثال هؤلآء بجانب لعنه و لعن الملائكة و الأنبياء .

و الفرق الأساسى بين نظام الاسلام السياسى و الأنظمة السياسية الأخرى أنه لا يقتنع بالقوة السياسية ولا يحسبها أكبرهمه و مبلغ علمه ، و لا يريد مجرد الفوز فى الانتخاب والوصول إلى مقاعد البرلمان ، شأن الحركات السياسية و أحزاب اليمين و اليسار و « أعداء » الاستعمار ، فان هؤلآء لا يمقتون الاستعمار أبداً إنهم يطلبون وكالة الاستعمار و يطلبون حق التوزيع و حق التمثيل فحسب ، و لذلك تراهم يفرقون بين استعمار و استعمار ، فتارة يساومون هذا و تارة يساومون ذاك ، فالاعتبار عندهم بشروط العقد أو الوكالة . وحاشا أن يفكروا فى مقته وكراهته ،

(١) الفرقان ٤٤

و كيف يمقتونه و قد استعمرت أرواحهم و عقولهم وأفكارهم ، و كيف يكرهونه أو يخاصمونه و قد أخذ منهم ميثاقاً غليظاً .

أما النظام السياسى فى الاسلام فانه لا يعادى هذه الأنظمة ولا يصارع المذاهب السياسية و الدعوات الجاهلية ليستمتع أهله بالقيادة و منافعها كما استمتع بها الذين من قبلهم ، و يخوضوا كالذين خاضوا ، و يسيروا على المسلك الذى سلكوه ، و لودخلوا جحر ضب لدخلوه ، بل يعادى هذه الأنظمة و يقاوم هـــذه الحركات فى سائر المجالات و الجبهات ، و يخالف أهلها من أول الطريق إلى نهاية الشوط ، ويمقت احتلالهم الأراضى الاسلامية كما يمقت احتلالهم العقول الاسلامية و يمقت احتلالهم أرواح الشباب و طاقاته قبل أن يمقت احتلالهم ثروات البلد و خيراته .

فالذى يؤمن بهذه النظرية ، و بهذا المبدأ ، ويسير على هذا الخط يعتبر نفسه مرابطاً على الثغر ، يقظاً واعياً لكل خطر ، يصبر على أذاه و يصبر على حرمانه من المنافع المادية ، ولكنه لا يصبر على انتهاك حرمات الله ، و تعدى حدوده و نقصان دينه ، وينطق بلسان حاله قبل أن ينطق بلسان مقاله « أينقص الدين و انا حى (١) ؟

و يخرج من هذا النظام أكثر قوة و أقوى صموداً ، وأعمق ايماناً ، و أشد غيرة و حماساً فلا تجد هذه الأنظمة فيه منفذاً تدخل به ، و ثغرة تتسرب منها ، و ضعفاً تستغله ، بل تنعكس الآية ، ويقف

(١) كلمة خالدة قالها سيدنا أبوبكر رضى الله عنه فى فتنة الردة المشهورة ، فقضى بها على هذه الفتنة .

النظام الجاهلى (بشقيه الغربى الشرقى) فى موقف الدفاع ، و يرى فى هذا المؤمن و نظامه الجديد خطراً على مكاسبه و انتصاراته ، وجولاته و صولاته فى أرض الاسلام .

إن هـذا التحول تحول المعسكر الاسلامى من خط الدفاع إلى خط الهجوم ، و اندحار المعسكر الجاهلى الحديث من خط الهجوم إلى خط الدفاع تحول عظيم ، وهو لايمكن إلا بتحقيق تلك المعانى والمبادىء و إرساء نظامنا السياسى على هـذين الركنين العظيمين ، و الاستعانة بهذين الجناحين الكبيرين المشرقين .

إنه منهاج لا تقتضى به - كما قلت - استراتيجية المعركة و العقل العملى ، و التحول النفسى فحسب بل إنه فى ذات الوقت من غايات الاسلام العظيمة الكريمة التى نص عليها القرآن ، و لا يكمل بغيرها الايمان ؟

محمد الحسنى

